كيف يستطيع الطبيب أن يهذب أخلاقه

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

يقول الرسول .(ثلاث مهلكات : هوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه) " رواه الطبراني "

خير الإعمال سرور تدخله إلى قلب مسلم

قال بشار بن برد :

إذا كنـــت في كل الأمور معاتبـــا صديقـــك لم تلق الذي لا تعاتبه
وإن أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه
فعش واحدا أو صـــــل أخاك فإنه مقـــارف ذنب مرة ومجـــانبه

أهداف المحاضرة:

مساعدة الدارس على:

- إدراك أهمية الأخلاق الفاضلة خاصة للطبيب
- الإلمام بطرق عملية للرفع من المستوى الأخلاقي

المحتوى

- هل يمكن تهذيب النفس و تزكية الأخلاق ؟
- أهم المشاكل الأخلاقية
- أهم طرق تهذيب النفس و تزكية الأخلاق

هل يمكن تهذيب النفس و تزكية الأخلاق ؟[3]

والسؤال الذي يثار هو .. هل صلاح القلب وفساده أمر خارج عن إرادة الإنسان ؟
هل هو قدر عليه لا يملك حياله شيئا ، أم هو أمر يخضع لإرادة الإنسان ، بعد إرادة الله سبحانه وتعالى ، بحيث يستطيع الإنسان بشيء من المثابرة والعزيمة أن يهذب هذا القلب ويصلحه ؟
البعض منا يبرر لنفسه سوء عمله بأنه طبعه الذي ولد به ، وأنه قدره ، وهو لا يملك تغيير طبعه ولكن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه : (كل نفس بما كسبت رهينة) "المدثر : 38"
ويقول في معرض الحديث عن النفس : (قد أفلح من زكاها (9) وقد خاب من دساها) " الشمس : 9،10"
ويقول تعالى:(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى (40) فإن الجنة هي المأوى "النازعات : 40،41" ويقول تعالى : (بل الإنسان على نفسه بصيرة (14) ولو ألقى معاذيره) " القيامة : 14،15"
كل هذا ينبئنا أن لإرادة الإنسان دورا كبيرا في تهذيب طبعه وسلوكه .
وللغزالي رحمه الله كلام لطيف في هذا الصدد ، وأنا أنقل هنا عن كتاب تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ، وهو كتاب رائع جدير بالقراءة والدرس ، ويجب أن لا تخلو منه مكتبة طالب علم ، يقول الغزالي رحمه الله ، في معرض الرد على من يظن أن النفس لا يمكن تهذيبها ولا تربيتها :
(أعلم أن بعض من غلبت عليه البطالة ، استثقل المجاهدة والرياضة ، والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق ، فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك ، لقصوره ونقصه وخبث دخيلته ، فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها ، وأن الطباع لا تتبدل ، فنقول : لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير

لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ، ولما أمر الشارع بوجوب تحسين الأخلاق في آيات وأحاديث كثيرة ، وكيف ينكر هذا في حق الآدمي ، وتغيير خلق البهيمة ممكن ، إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلى الأنس ، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد ، وكل ذلك تغيير للأخلاق). ويعلق الشارح بأن كلام الغزالي يتلخص في قوله صلى الله عليه وسلم :
(إنما العلم بالتعلم ، وإنما الحلم بالتحلم ، ومن يتحر الخير يعطه ، ومن يتق الشر يوقه) "رواه الخطيب عن أبي هريرة وسنده حسن"
وهذا الحديث العظيم أساس كل تربية وإصلاح ، ورد على القائلين بأن الطبع غلب التطبع .
ولم أر في عيوب الناس نقصا كنقص القادرين على التمام

أهم الخصائص الأخلاقية التي ينبغي أن يتحلى بها الطبيب:

التواضع ،الحلم ،الحياء ،العفاف ،التسامح ،الكرم ،الإيثار، الشجاعة
والطبيب قد يسرع إليه الكبر والعجب بالنفس ، سواء كان ذلك لعلمه ، أو لماله ، أو لجاهه ، وفي كل هذه الأحوال يكون الكبر دليلا على ضعف عقله ، أو قلة حكمته ، أو سوء خلقه ، أو جميعهم معا ، وأسوأ هذه الأحوال العجب بالنفس ، نتيجة للعلم .
يقول الغزالي رحمه الله في هذا الصدد :(وما أسرع الكبر إلى بعض العلماء ! فلا يلبث أن يستشعر في نفسه كمال العلم ، فيستعظم نفسه ويستحقر الناس ، و يستجهلهم ويستخدم من خالطه منهم ، وقد يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل من منهم ، فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ، ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم)
ولنقف لحظة عند هذه اللمحة الوضاءة ، من كلام الغزالي :(فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه) هذا لون من الكبر المستتر ، يستتر وراء قناع الإحساس المبالغ فيه بالمسؤولية ، يتصرف الطبيب حيال الآخرين كالمهيمن يوجههم ، ويرشدهم ، ويرتب لهم أمورهم ، ويرسم لهم تصرفاتهم ، ولا يترك لهم فرصة للتصرف أو التفكير ، أو اتخاذ قرار ، بحجة أنه هو الأعلم وهو الأفهم ، وغالبا ما يأتي ذلك بنتيجة عكسية ، فالإنسان السوي يرفض أن يهيمن عليه أحد ، والأخ الكبير حقا ، هو الذي يشارك أخاه في الرأي ، ويشعره بقيمته وذاته
كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالا يحتذى في التواضع ، كان يحلب شاته ، ويخصف نعله ، شارك أصحابه في حفر الخندق حول المدينة استعدادا للقاء المشركين ، وقبلها شاركهم في بناء المسجد ، فكان يحمل مواد البناء مثلما كانوا يحملون ، روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه لم يقل لخادم له لم فعلت هذا ، ولم تفعل ذلك . وكان إذا غشي مجلسا ، جلس حيث ينتهي به المقام ، وكانت زوجاته ، أمهات المؤمنين يراجعنه في شؤونهن ، فلا يعلو على مراجعتهن ولا يستكبر .
يحدثنا المصطفى عن الكبر والخيلاء ، حتى لنحس أنهما مجمع فساد النفس .
يقول صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر) " رواه مسلم "
ويقول صلى الله عليه وسلم : (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) " رواه مسلم "
وينذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بعاقبة الكبر : (بينما رجل يمشي وقد أعجبته جبته وبرداه ، إذ خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة) " رواه مسلم "
وليس آخر العجب والخيلاء إلا الهلاك :
(ثلاث مهلكات : هوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه) " رواه الطبراني "
يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن رب العزة والجلال :
(العز إزاري والكبرياء ردائي فمن ينازعني عذبته) " رواه مسلم "
والرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول بإلهام من ربه :
(لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا) " رواه البخاري "

ويقول صلى الله عليه وسلم :
(ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعِف لو أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر) " رواه ابن ماجة "
الإنسان المتواضع يرفعه الله : (من تواضع لله درجة رفعه الله درجة) "
رواه أحمد "
يقول الماوردي في باب العجب والافتخار :
(وقل ما تجد بالعلم معجبا ، وبما أدركه منه مفتخرا إلا من كان فيه مقلا مقصرا ، لأنه قد يجهل قدره ، ويحسب أنه نال بالدخول فيه أكثره . فأما من كان فيه متوجها ، ومنه مستكثرا ، فهو يعلم من بعد غايته ، والعجز عن إدراك نهايته ، ما يسده عن العجب به) .
ونحن لا شك متفقون على أن التواضع شيء آخر غير الضعة ، الضعة وليدة الذل والهوان ، وشتان ما بينهما . التواضع ينبع من الأعماق ، ويرتكز على معرفة الإنسان لربه ولنفسه . التواضع يعرف العالم فيه قدر نفسه ، إذ أنه مهما بلغ من العلم فهو لا زال جاهلا بكثير من أسرار الكون ، وإذا كان هناك أولويات في اقتدائنا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم فالتواضع من هذه الأولويات .
والرسول يحذرنا من البخل . قال صلى الله عليه وسلم :
(البخيل بعيد عن الناس بعيد عن الله بعيد عن الجنة قريب من النار) " رواه الترمذي "

أهم طرق تهذيب النفس و تزكية الأخلاق:

أ- إدراك أهمية حسن الخلق

الخلق الحسن هو رسالة الإسلام، لقول الرسول الكريم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وقد سأل أحدهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها –عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى! قالت: فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم القرآن- رواه مسلم[2] .
ومن أهم الأخلاق الحسنة المطلوبة في العالِم قبل غيره باعتباره ممثلاً لنبي الإسلام: ليونة الخطاب مع تجنب الغلظة؛ وتتمثل الليونة في الخطاب التعليمي، ومحاولة إيصاله إلى القلوب بالتي هي أحسن، وليس بالتي هي أخشن. قال تعالى مخاطباً موسى لما بعثه إلى فرعون: (اذهب إلى فرعون إنه طغى# فقل هل لك إلى أن تزكى# وأهديك إلى ربك فتخشى) النازعات. وفي آية أخرى يقول سبحانه (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى)[2]
ولأن المتعلمين شغوفون بتقليد معلميهم فإن المعلمين يكون لهم أجر مضاعف بإذن الله حين يتحلون بحسن الخلق.

ب- التدرب و المحاولة

1. الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء
2. دراسة و الاقتداء بأخلاق الرسول "صلى الله عليه وسلم" وذوي الأخلاق الفاضلة "المرء مع خليله فلينظر أحدكم من يخالل"

إن أفضل التعليم ما كان بالقدوة الحسنة، فقد روي أن بعض السلف كانوا إذا أتوا العلماء ليتعلموا منهم بدءوا بتعلم الخلق والسمت والأدب. والناظر إلى ما يكتب عن التعليم وأساليبه يلاحظ أن الغرب قد بحث هذا الموضوع وكتب عنه الشيء الكثير، والإطلاع والاستفادة مما كتبوه يعد من الأمور المحمودة لاسيما أن ذلك مبني على الأبحاث والتجارب والخبرات، ومع ذلك فلابد ألا

ننسى مصدراً أكثر أهمية من ذلك وهو ما وردنا من القرآن الكريم والسنة النبوية من أحسن معلم عرفه التاريخ، ألا وهو حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أ- خلق الحياء

أن خلق الحياء من الأخلاق الحميدة التي ينبغي علينا تعلمها وممارستها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أعلمكم، إذا أتيتم الغائط، فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها ، وأمر بثلاثة أحجار، ونهى عن الروث، والرمة، ونهى أن يستطيب الرجل بيمناه)[1]

يلاحظ في هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مهد التمهيد اللطيف عندما أراد أن يعلم أصحابه ما قد يستحيا من التصريح به.

وهذا درس عظيم يجدر بالمعلمين تعلمه وممارسته فيتجنبوا التبسط معه الطالبات أو الطلب منهن فحص الرجال وخاصة ما يستحيا منه، والعكس صحيح بالنسبة للطلبة.

ب- الأمانة

عن عَلِيٌّ رضي الله عنه، أَنَّ فَاطِمَةَ اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ، فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بسبي، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ، فَأَتَانَا وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ فَقَالَ " عَلَى مَكَانِكُمَا " حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ " أَلاَ أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ)[2]

فانظر إلى أمانته صلى الله عليه وسلم، لم يعط ابنته وزوجها خادماً رغم حاجتهما الماسة لذلك.

لقد آثرَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَهْلَ الصُّفَّةِ وَالأَرَامِلَ حِينَ سَأَلَتْهُ فَاطِمَةُ وَشَكَتْ إِلَيْهِ الطَّحْنَ وَالرَّحَى أَنْ يُخْدِمَهَا مِنَ السَّبْيِ، فَوَكَلَهَا إِلَى اللَّهِ.

هذا درس عظيم للأساتذة والمعلمين، فالأستاذ الأمين هو الذي يحافظ على عمله في العيادة أو التعليم، أو المرور على المرضى ولا يتركها تكاسلاً أو لأداء عمل آخر. إن فعل ذلك يعد مخالفة للأمانة وأكلاً للمال الحرام. إن قيام أحد المعلمين بهذا السلوك -لا سمح الله- يعطي مثالاً سيئاً لطلابه فيحمل وزر ذلك يوم القيامة.

ت- التواضع

---

[1] رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة وسننها، باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة رقم 313، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (1)

[2] رواه البخاري في كتاب فرض الخمس باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمساكين

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته فلما فرغ قال: يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا أو قبري فبكى معاذ جشعا لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا)[3]

فلنتعلم جميعاً التواضع مع طلابنا ومرضانا، نتعلمه من خير معلم محمد صلى الله عليه وسلم، حيث كان يمشي ومعاذ راكباً.
إن مما يؤسف له أن خلق التواضع قد يوجد لدى غير المسلمين بينما يقصر كثير من المسلمين في هذا الخلق العظيم رغم أن هذا الخلق دليل على الثقة بالنفس، كما أنه يؤلف قلوب المرضى والطلاب بحيث يكون محبوباً لديهم، ويكون أحرى للالتزام بتعليمات الطبيب والأستاذ.
فحري بنا معاشر المعلمين أن نتخلق بخلق الرسول صلى الله عليه وسلم فنتعامل مع طلابنا بتواضع ورفق وحياء وان نصبر عليهم. إن إتقان العمل والابتسامة وحسن التواصل مع المرضى أمام الطلبة والمتدربين هو درس مؤثر ونافع ويساهم في نقل العادات الجيدة إلى الجيل الجديد (من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة)

ث- الاعتراف بعدم العلم وقول لا أدري

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه: أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي البلدان شر قال فقال لا أدري فلما أتاه جبريل عليه السلام قال يا جبريل أي البلدان شر قال لا أدري حتى أسأل ربي عز وجل فانطلق جبريل عليه السلام ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم جاء فقال يا محمد إنك سألتني أي البلدان شر فقلت لا أدري وإني سألت ربي عز وجل أي البلدان شر فقال أسواقها[4]
إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لا أدري فما بالنا معاشر المعلمين والأساتذة نجد غضاضة في ذلك.
تأمل لو أن أستاذاً سأله أحد طلبته وقال له "لا أدري" فما هو أثر ذلك على الطالب وتأمل لو أن الأستاذ قال أنه "سيشرع في البحث عن جواب لذلك السؤال"، ما هو الأثر الذي سيتركه ذلك السلوك في نفس الطالب. إن في ذلك تحفيزاً على البحث والتعلم. أن أثر ذلك يفوق أضعافاً كثيرة قوله لهم " أنصحكم أن تبحثوا عن الإجابة للأسئلة التي لا تعرفوا الإجابة عليها" وأيضاً فيه القدوة الحسنة بالصدق وعدم ادعاء معرفة ما ليس له علم به. عندما يتربى الطلاب عندما على هذه الأخلاق فأنه حري بهم أن يكونوا أطباء صادقين في المستقبل وأن لا يدعوا إتقانهم لعلاج لا يعرفونه لأنهم تعلموا الصدق ولم يجدوا حرجاً في ذلك.

3. التقمص و التجنب

وصية الإعرابية لابنها حين أراد أن يسافر: "يا بني لا تكن بخيلاً في مالك وكريماً في دينك ولكن كن بخيلاً في دينك وكريماً في مالك، وانظر لما استحسنته من أخلاق من حولك فاتبعها وانظر إلى ما كرهته من خلقهم فاجتنبها".

4. الممارسة و التدرج

---

[3] صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الخامس رقم 2497
[4] مسند أحمد، أول مسند المدنيين.

كان الرسول - صلى الله عليه و سلم- يحرص على التدرج في التعليم لأن ذلك أقوى أثراً في النفوس والمتعلم أحرى أن يطبق القليل منه للكثير.
روى البخاري ومسلم، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: "أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن، فقال: إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب".
وروى الإمام أحمد في مسنده عن محمد بن فضيل، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن قال: "حدثنا من كان يقرؤنا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يقترئون من رسول الله صلى الله وسلم عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل".
وضع أهداف معقولة فقد قال عمر بن عبد العزيز " إن لي نفسا تواقة وإني كلما بلغت درجة سعيت لما هو أعلى منها واني الآن أطمح إلى الجنة"

5. ألتأمل.

عن أبي هريرة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد ، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن وائل سيد أهل اليمامة ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماذا عندك يا ثمامة ؟ قال : عندي يا محمد خير ، إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان الغد ثم قال له : ما عندك يا ثمامة ؟ فأعاد مثل هذا صحيح: ، فتركه حتى كان بعد الغد فذكر مثل هذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أطلقوا ثمامة . فانطلق إلى نخل قريب من المسجد ، فاغتسل فيه ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . وساق الحديث (صحيح : وأخرجه البخاري ومسلم.

6. الإفادة الراجعة و الطلب من الأستاذ و القدوة أن يختبرك

ما رواه البخاري قي كتاب الأطعمة -باب التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ وَالأَكْلِ بِالْيَمِينِ

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ كَثِيرٍ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ، سَمِعَ وَهْبَ بْنَ كَيْسَانَ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ، يَقُولُ كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " يَا غُلاَمُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ ". فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.

روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :"مه مه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لاتزرموه، دعوه))
فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه، فقال له : ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن)) أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وفي هذا الحديث تلحظ رفقه صلى الله عليه وسلم بالإعرابي وفطنته إلى حاجة الرجل لإكمال بوله، وكذلك فإنه صلى الله عليه وسلم قد استعمل الإفادة الراجعة(feedback) والنصح والتوجيه برفق بعد الحدث.

7. التعلم بقراءة القصص وأخبار الماضين

حيث أن القصص وأخبار الماضين و فيها من العظة و العبرة و هذا الأسلوب اتبعه القران وجاءت به أحاديث المصطفى

وروى البخاري ومسلم، واللفظ منهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" بينما كلب يطيف ببئر قد كاد يقتله من العطش، وإذ رأته يبغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت خفها فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فسقته إياه، فغفر لها بذلك".
وروى البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض".
لقد أراد صلى الله عليه وسلم أن يعلم ألصحابه والمسلمين جميعاً العطف والشفقة والرحمة ليس فقط على البشر وإنما تتعداها إلى الحيوانات وكانت طريقة التعليم بسرد القصة.

1. اشتغل بعيوبك عن عيوب الناس

قال عليه الصلاة والسلام (انك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم، او كدت تفسدهم) فالاشتغال بعيوب الناس ما هو إلا تشاغل عن عيوب النفس وتفقد قصورها، فرحم الله امرأ شغلته عيوبه عن البحث في عيوب الناس
من هذه القلوب قلب يرى النقص في غيره عوارا و عيبا، و يراه نفسه جبلة و طبيعة بشرية، تراه بصيرا بعيوب الناس، متعاميا عن عيوب نفسه. ديدنه الخوض في الأعراض و تتبع العورات. ترى هذى المسكين لا يحضر مجلسا إلا و حور الحديث إلى تتبع العورات و الخوض في الأعراض، و التشهير بالخاطئين. لا يكاد يذكر عنده أحد إلا انتقصه و عيبه، من يسمعه يظن انه مجمع الكمال، حتى لم يبقى فيه إلا مطعن و لا مثلبة.

2. الاكتفاء

ولعل من أهم جوانب تهذيب النفس أن يدرب الإنسان نفسه على الاكتفاء ، ولو نظرنا إلى بعض العبادات كالصوم ، والحج ، والزكاة ، والاعتكاف ، لوجدناها ضربا من ضروب تهذيب النفس ، وتربيتها على الاكتفاء. وقضية الاكتفاء في هذه الحياة مسألة نسبية . منا من يجد كفايته في القليل ويرضى به ويسعد ، ومنا من لا يقنعه مال قارون ، وتراه يسعى إلى المزيد . وهناك عشرات الأمثلة نستلهمها في حياة السلف الصالح ، الذين راضوا أنفسهم على الاكتفاء بالقليل من ماديات الحياة وتفرغوا لجلائل الأعمال

3. التعايش مع الآخرين

" فن التعامل مع الآخرين " ، فأنت قد تتعامل مع الآخرين وتظل بينك وبينهم مسافة . ولكن التعايش أن تتفاعل معهم .. تتقبلهم بحسناتهم وسيئاتهم ، وتهدف إلى الإصلاح ما استطعت إلى ذلك سبيلا ..

هذا التعايش فن ، جدير أن يدرب كل منا نفسه على إتقانه .. هو أكثر من مجرد شعرة معاوية التي إذا شدها الناس أرخاها ، وإذا أرخوها شدها . ليست القضية شطارة أو ذكاء اجتماعيا . وإنما هي مزيج من التواد والتسامح والعطاء ، و فوق كل هذا وذاك تقوى الله .

والطبيب مطالب بأن يدرب نفسه على فن التعايش إذا أراد أن ينجح في حياته الشخصية والمهنية .. وهذا الفن يعتمد على قواعد محددة نستعرض فيما يلي بعضا منها :

من مبادئ فن التعايش أن نتقبل الناس على علّاتهم ، وأن ندرك أن هناك فوارق طبيعية بينهم ، اكتسبوها أما بالوراثة أو بتأثير البيئة ، وبالتالي علينا أن لا نقيس البشر بمقاييسنا الخاصة ، والتي هي نفسها عرضة للخطأ والصواب .

قال الشاعر :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه

وقال ابن الرومي :

هم النـــاس والدنيـــا ولا بد من قذى يلم بعين أو يكدر مشربا
ومن قلة الإنصاف أنك تبتغي المهذب في الدنيا ولست المهذبا

وقال بشار بن برد :

إذا كنـــت في كل الأمور معاتبـــا صديقـــك لم تلق الذي لا تعاتبه
وإن أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه
فعش واحدا أو صـــــل أخاك فإنه مقـــارف ذنب مرة ومجـــانبه

علينا أن نصل إلى قلوب الآخرين ، وعقولهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهو أدب يعلمنا إياه الهادي المصطفى . جاء أعرابي خشن السلوك والمظهر إلى المسجد ، فبال في ركن منه ، وثار عليه الصحابة وهموا به ، فحال النبي صلى الله عليه وسلم بينهم وبينه ، ثم بين للأعرابي في سماحة خلق ، أهمية المحافظة على نظافة المسجد . فما كان من الأعرابي وقد دقت أوتار قلبه سماحة النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن رفع يده إلى السماء يدعو لنفسه وللنبي المصطفى من دون الناس أجمعين .

قال تعالى : (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) .
" فصلت : 34"

الطبيب الذي يتعامل مع زملائه ومرؤوسيه ومرضاه ، بالرغم مما قد يكون بينه وبينهم من فوارق اجتماعية وثقافية ، عليه أن يضع نصب عينيه أن الميزان عند الله هو التقوى ، وليس اللسان أو اللون أو اللباس أو الثروة أو الجاه . وميزان الله أحق بأن يتبع .

عليه أن يدرك أن مقابلة الإساءة بالإحسان ، يمثل أسمى درجات القدرة على التحكم في النفس .
يتعامل الطبيب مع أناس من أديان ومذاهب مختلفة . ويحسن به أن يعي توجيه الله سبحانه وتعالى في هذا الشأن :
(أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) "يونس : 99"
(لا إكراه في الدين وقد تبين الرشد من الغي) " البقرة : 256"
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) " الممتحنة : 8 "
(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) " العنكبوت : 46"
وعندما جاء وفد من نصارى نجران أنزلهم النبي صلى الله عليه وسلم في جانب من المسجد وكانوا يؤدون صلاتهم فيه .
وفي كتاب بعنوان " نحو التآلف والتوافق " ألفه أستاذ فن التفاوض في جامعة هارفارد يناقش في أحد فصوله أفضل الطرق للحصول على كلمة نعم من الطرف الآخر . والوسيلة إلى ذلك هي الوضوح ، والصراحة ، والصدق ، والبعد عن اللف والدوران ، وألعاب الأكروبات في المعاملات .

توجد قاعدة هامة في فن التعامل والتعايش يجب أن لا نهملها .. وهي الاقتصاد في النقد . ومن أفضل ما قرأت في هذا الباب ، كتاب " مدير الدقيقة الواحدة " الذي بيعت منه ملايين النسخ بشتى اللغات . أعرض جانبا واحدا منه وهو فن النقد . حاول أن تتجنب النقد والتوجيه ما استطعت إلى ذلك سبيلا فإذا اضطررت إليه اجعله نقدا موضوعيا ، يتناول الخطأ الذي ارتكبه الشخص ، لويس الشخص نفسه . واجعله قصيرا لا تتجاوز مدته دقيقة واحدة ، على أن تتبعه بكلمات طيبة تشعر الطرف الآخر أن ثقتك فيه لا زالت موجودة .
إننا مهما حرصنا على أن نتعامل مع الآخرين في إطار القوانين ، والنظم الموضوعة ، فسوف نحتاج دائما إلى ما هو أهم من النظم والقوانين وأبعد مدى ، إلى اعتبار الهدف الذي من أجله وضعت النظم والقوانين .
تأمل الآيات الكريمة التي حددت نظام التعامل بين المسلمين والكفار في صلح الحديبية. تجد أنها لا تكتفي بتنفيذ ظاهر المعاهدة ، وإنما تطالب المسلمين بالنظر إلى جوهرها ، إلى تقوى الله .

4. المحبة :

يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :
" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " (رواه أحمد في مسنده)
المحبة نور يخرج من القلب ، ويضفي ضياءه على الآخرين والكون والأشياء ، ويعود النور فينعكس على صاحبه ، فيضفي عليه صفاء و رضا وطمأنينة . والإنسان الذي تملأ أهابه المحبة ، إنسان قادر على العطاء والإحسان والخير والعفو ، وكلها صفات كريمة ، يحييها في نفوسنا القرآن الكريم :
(وقولوا للناس حسنا) " البقرة : 83 "
(وأحسن كما أحسن الله إليك) " القصص : 77 "
(وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) " النساء : 86 "
(ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) " فصلت : 34"
(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) " آل عمران : 104"
والقلب الذي تملأ أعطافه المحبة ، قادر على العفو والصفح والإعراض عن الإساءة ، وإذا ما كان ذلك استجابة لتوجيه المولى جل شأنه فهو الكسب الكبير .

(والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) " آل عمران : 134 "
(خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) " الأعراف : 199 "
(فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين) " المائدة : 13 "

المحبة التي تغمر القلب ، تتسع لإنكار الذات وللإيثار ، وإلا بماذا نصف تقبل الأنصار لدعوة المؤاخاة مع المهاجرين إلى الحد الذي اقتسموا فيه أموالهم معهم . هل كان مجرد أداء لواجب مفروض ؟ أعتقد أنها كانت أكبر من ذلك بكثير . فالواجب ـ في أحان كثيرة ـ ثقيل على النفس ، ولكن الأنصار أقبلوا على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة بشعور المحبة .

(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) " الحشر : 9 " .

(لم يعرف تاريخ البشرية كله حادثا جماعيا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين . بهذا الحب الكريم . وبهذا البذل السخي وبهذه المشاركة الرضية . وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بالقرعة . لأن الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين) .

ما هو المطلوب ؟ أن يقف الإنسان على قارعة الطريق يتفرج على الركب وهو يسير . لا .. ليس هذا من روح الإسلام . وإنما المطلوب أن نحث السير ونسارع الخطى لنكون في المقدمة ، وفي نفس الوقت نمد أيدينا إلى من حولنا نساعدهم أيضا على الوصول .. هنا يتمثل إنكار الذات ، والإيثار .

إذا عمر الحب قلب الإنسان فإنه يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ، وهذا منتهى الإيمان . وتجربة الحياة أكبر دليل . أعرف رؤساء ومدراء جعلوا جل همهم أن يصلوا إلى القمة ، وأن لا يلحق بهم لاحق .

كسبوا الجولات الأولى من الشوط ، ولكنهم في النهاية منوا بالخسارة ، وأي خسارة أكبر من أن يثير إنسان مكامن الكراهية والحقد في من حوله ، ليس هذا وحسب ، ولكن لما عرف رؤساؤهم عنهم أنهم يجعلون مصلحتهم الخاصة فوق مصلحة العمل ، أقفلوا أمامهم السبل . وأعرف آخرين سعوا إلى القمة حثيثا ، كافحوا واجتهدوا وعرقوا ، ولأن المحبة ملأت قلوبهم مدوا أيديهم للآخرين يساعدونهم في الوصول .

المحبة إذا ما كانت في الله اتسعت للكبير والصغير للقاصي والداني . للزوجة والأولاد والأهل والوطن وللإنسانية جمعاء . وعندما تعمر المحبة القلب ، لا يصبح فيه متسع للشر أو الخبث أو العدوان أو الظلم . ما أحرانا أن نربي أنفسنا وأبناءنا على المحبة .. المحبة الموصولة بالله سبحانه وتعالى .. ويوم أن ننجح في ذلك سوف نستغني عن عشرات القوانين ونضرب صفحا عن كثير من الجزاءات والعقوبات .

ومن مأثور القول عن الإمام الشافعي رحمه الله :

(ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ ، وما كلمت أحدا إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ، ويكون عليه من الله رعاية وحفظ ، وما كلمت أحدا إلا وأنا لا أبالي أن يبين الله الحق على لسانه أو لساني) .

وأختم بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " (رواه البخاري) .

5. الاعتدال :

الاعتدال أحد القواعد الأساسية التي ينادي بها الدين الإسلامي . الاعتدال في كل الأمور . لا تفريط ولا إفراط .

يقول تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس "

عشرات الأسئلة تثار ، والقرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتركانا في ضياع ، يضيئان لنا معالم الطريق ، ثم الأمر متروك بعد ذلك لقلب المؤمن ووجدانه :

(استفت قلبك ، واستفت نفسك ، البر ما أطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك) (رواه مسلم)
أول هذه الأضواء التي نهتدي بها ، هي شرعية دخل الطبيب ، يجب أن يكون ماله حلالا . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
" الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهة " (رواه البخاري)
وهو يحذرنا من أكل السحت :
" كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به " (رواه الطبراني)
نحن مستخلفون في أموالنا ، وعلينا أن ننفقها في صالح الأعمال ، وأن نراعي الاعتدال .
الدين الإسلامي يرسم لنا منهجا للحياة ، لا تحده حواجز ضيقة ، وإنما هو رحب واسع ، فيه مجال للاختيار ، وتحكيم العقل والضمير .
عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعلمون "
الدين الإسلامي يشجعنا على الاستمتاع بما أحل الله .
(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) " المؤمنون : 51 "
(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) " القصص : 77 "

6. مراقبة النفس:

إذا كانت المحبة والصدق والاعتدال والتواضع جواهر الأخلاق ، فلا بد أن يكون هناك محك يعرف الإنسان به صدق هذه الفضائل من زيفها في نفسه ، فقد يظن الإنسان أنه يملك هذه الفضائل أو أكثرها ، ولكنه شعور زائف مؤداه العجب بالنفس والتعالي عن الحقيقة ، والعزة بالإثم .
(وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم) " البقرة : 206 "
لا بد لنا من محك ، نعود إليه بين الفينة والفينة ، لكي نفرق بين التبر والتراب ، وكلنا في حاجة إلى هذا المحك ، فكل ابن آدم خطاء ، ولكن دعوانا أن : اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه ، و أرنا الباطل باطلا فنجتنبه .
والطبيب ورفاقه من العاملين في المجال الطبي ، من أكثر الناس حاجة إلى هذا المحك ، بحكم عملهم ومسؤولياتهم عن أرواح الناس وأعراضهم ، ولأنهم عرضة أكثر من غيرهم للاعتقاد الزائف بصلاحهم ، لما يظنونه من علمهم بأسرار الحياة والموت ، ولما قد يحيط بهم من هالة اجتماعية .
هذا لامحك له وسيلتان :
أولهما محاسبة النفس ، المحاسبة العادلة التي لا تشتط بالإنسان إلى حد الغلو في استصغار النفس وتحقيرها ، ولا تذهب به إلى المبالغة في الإحساس بالذنب والتقصير .
قال تعالى :
(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) " البقرة : 286 "
وقال تعالى :
(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) " البقرة : 185"
وقال تعالى :
(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) " الزمر : 53 "
حساب النفس المطلوب هو الحساب الموضوعي ، الذي يرى فيه الإنسان حسناته ، كما يرى نقائصه ، ويكون الهدف منه تهذيب النفس وتربيتها وليس عقابها وإذلالها .

أما الوسيلة الثانية فهي : ذكر الله ، وقراءة القرآن ، والعودة إلى سيرة المصطفى بالمطالعة والدرس والاعتبار .
والآن نعود إلى المصدر الثر ، إلى مجمع الأخلاق والفضائل ، إلى هدي الكتاب الكريم ، وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ففيهما تذكرة للإنسان ، وتنبيه للغافل ، وهدي للضال ، وبلسم للعاني ، وبشرى للمؤمن ، ونور يسعى بين يدي البشر . فـ"الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .
إذن هي الرقابة الداخلية ، رقابة الضمير ، أجدى وأبقى أثرا من أي رقابة خارجية ، فكيف إذا ما كانت هذه الرقابة مرتبطة بخشية الله وتقواه ، هنالك يصبح أثرها أبعد مدى ، ودورها في تصحيح المسار ، وتهذيب الخلق والسلوك أكثر وقعا .
يقول تعالى :
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) " الحشر : 18 "
فخالف هواها واعصها ، فمن يطع
هوى نفسه تنزع به شر مـــنزع
ومن يطع النفس اللجوجة تـــرده
وترم به في مصرع أي مصرع((1))

ج- <u>قهر النفس</u>

إدانة النفس:حديث الرسول "صلى الله عليه وسلم" الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت.....

يقول صلى الله عليه وسلم: (من يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله ومن يستغن يغنه الله، ولن تُعطوا عطاء خيراً وأوسع من الصبر)[3]
أ- الصبر على شدائد الحياة و المنغصات :

وجدت إحدى الدراسات أن الأطباء يتعلمون من المناوبات الليلية أكثر من تعلمهم أثناء العمل النهاري، وفي العمل ألسريري أكثر من قاعة المحاضرات، لأن العمل في الفترات المسائية وخارج قاعات الدراسة يظهر السلوك الحقيقي لا المفتعل للمدربين والمعلمين
روى الإمام مسلم عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: ''إن أعرابياً عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو زمامه، ثم قال: يا رسول الله أو يا محمد أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار.
قال: فكفّ النبي صلى الله عليه وسلم، ثم نظر في أصحابه، ثم قال: لقد وُفّق أو لقد هُدِي، قال: كيف قلت ؟ قال: فأعاد.
فقال النبي صلى الله عليه وسلم تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم. دع الناقة''.
تأمل أخي العزيز كيف أن أعرابيا يوقف دابة الرسول القائد ولم يستاء الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك وإنما استحسن سؤال الأعرابي حيث قال: '' لقد وُفّق أو هُدِي''.
روى الإمام البخاري رضي الله عنه عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد، ثم علقه ثم قال لهم: أيكم محمد ؟.
فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ.
فقال: له الرجل: ابن عبد المطلب ؟.
فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: قد أجبتك.

فقال: الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد على في نفسك.
فقال: صلى الله عليه وسلم : سل عما بدالك.
قال: أسألك بربك، ورب من كان قبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟.
فقال: اللهم نعم.
قال: أنشدك بالله ! آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟.
فقال: اللهم نعم.
قال: أنشدك بالله ! آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟.
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم نعم
فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي قومي، وأنا ضمام بن ثعلبه أخو بني سعد بن بكر رضي الله عنه .
ومما نجده في الحديث أن ضماماً رضي الله عنه سأل في مجلس واحد ثلاث تساؤلات.
وجاء في رواية مسلم أن ضماماً رضي الله عنه سأل تساؤلات أخرى إلى جانب الأسئلة سالفة الذكر لا يتسع المجال لذكرها في هذا المقام.

وأما عن السبيل العلمي لمجاهدة الهوى فكعادته يدلنا ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ على الطريق الأمثل إلى ذلك فيذكر ستة أشياء تعين على مجاهدة الهوى :

أحدها : التفكير في أن الإنسان لم يخلق للهوى العاجل ، وإنما للنظر في العواقب والعمل للآجل ، فلو كان نيل المشتهى في كل حال فضيلة لما بخص حظ الآدمي الشريف منه وزيد في حظ البهائم ، وفي توفير حظ الآدمي من العقل وتفضيله به ، مع بخص حظه من الهوى ، ما يكفي في فضل هذا وذم ذلك .

الثاني : أن يفكر في عواقب الهوى ، فكم قد أفات من فضيلة ، وكم قد أوقع في رذيلة ، وكم من مطعم قد أوقع في مرض ، وكم من زلة أوجبت انكسار جاه وقبح ذكر مع إثم ، غير أن صاحب الهوى لا يرى إلا الهوى!

الثالث : أن يتصور العاقل انقضاء غرضه من هواه ، يم يتصور الأذى الحاصل عقب اللذة ، فإنه يراه يربي على الهوى أضعافا .

الرابع : أن يتصور ذلك في حق غيره ، ثم يتلمح عاقبته بفكره ، فإنه سيرى ما يعلم به عيبه إذا وقف في ذلك المقام .

الخامس : أن يتفكر فيما يطلبه من اللذات ، فإنه سيخبره العقل أنه ليس بشيء وإنما عين الهوى عمياء .

قال أبو الطيب المتنبي

لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيه لم سبه ((2))

((1)) تفسير الألوسي المسمى : (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) تأليف السيد محمود الألوسي البغدادي . (46/30) دار الفكر ـ بيروت .

((2)) أي : لو فكر من يريد الظفر بامرأة لا تحل له ، وما الذي يختبئ وراء هذا الحسن وما الذي ينتهي إليه هذا الحسن لم يطمع بالظفر بها .

والسادس : أن يتدبر عز الغلبة وذل القهر فإنه ما من أحد غلب هواه إلا أحس بقوة وعز ، وما من أحد غلبه هواه إلا وجد في نفسه ذل القهر .

والسابع : أن يتفكر في فائدة المخالفة للهوى ، من اكتساب الذكر الجميل في الدنيا ، وسلامة النفس والعرض والأجر في الآخرة ثم يعكس ، فيتفكر لو وافق هواه في حصول عكس ذلك إلى الأبد ، ولنفرض لهاتين الحالتين حالتي آدم ويوسف عليهما السلام ، وفي لذة هذا وهم هذا .

ويا أيها الأخ : أحضر لي قلبك عند هذه الكلمات ، وقل لي ، بالله عليك ، أين لذة آدم التي قضاها من همة يوسف التي ما أمضاها ؟ !

من كان يكون يوسف لو نال تلك اللذة ؟ فلما تركها وصبر عنها بمجاهدة ساعة ، صار من قد عرفت . ((1))

المراجع:

1. سامي الماجد جريدة الحياة مرض «تتبع العورات» الخميس، 22 أكتوبر 2009
2. د. أحمد العمراني. حاجة الأمة إلى العلماء الربانيين وخطر رفع العلم. مجلة البيان العدد 211 ربيع الأول 1426هـ
3. د. زهير أحمد السباعي، د. محمد علي البار الطبيب أدبه وفقه دار القلم- دمشق، الدار الشامية- بيروت. الطبعة الأولى 1413هـ